المحاضر الرابعة

أسرة جستنيان

تتناول المحاضرة العناصر التالية:

- جستين يؤسس الإمبراطورية (518- 527م)
- جستنيان الأول (527- 565م)
  - ❖ سياسته الخارجية
    (جستنيان والفرس- حروب الإمبراطورية في الجهة الغربية)
  - ❖ سياسته الداخلية (الاصلاحات الإقتصادية- التشريع- النهضة المعمارية)
- جستين الثاني (565- 578م)
- تيباريوس (578- 582م)
- موريس (582- 602م)
- فوكاس (602- 610م)

جستين الأول (518- 527م):

توفى انستاسيوس 518م دون أن يترك وريث للعرش، وعاشت الإمبراطورية حالة من الإضطراب والفوضى، إلى أن انتهى الأمر باعتلاء جستين الأول عرش الإمبراطورية.

وينتمي جستين لأصل بسيط، عمل جنديا في جيش الإمبراطورية، واثبت مهارات حربية فائقة، حتى ترقي في إلى رتبة قائد في الحرس الإمبراطوري، وكان صديقا مقربا للإمبراطور أنستاسيوس، ولم ينجب جستين أبناء، فتخير واحد من أبناء اخوته وهو فلافيوس، وأحضره معه إلى القسطنطينية، ووفر له كل سبل التعلم، وألحقه بالجيش، وعرف بين الجند باسم جستين الصغير (جستنيان)، وأهتم جستين خلال فترة حكمه بشئون الإمبراطورية الداخلية وكان متحفظا إلى أبعد الحدود، ولم يميل إلى حياة الصخب داخل القسطنطينية، فحد من عروض السيرك المستمرة طوال العام داخل الإمبراطورية، فجعل لها أوقات محدودة، ومنع العروض الراقصة من الإمبراطورية.

(ملحوظة: لم يستطع جستين منع تلك العروض من مدينة الإسكندرية، فاستثناها من ذلك القرار)

إلا أن جستين أساء معاملة أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزيتية)، وعلى الرغم من رفضه لمذهب الطبيعة الواحدة، إلا أنه ناصر أهل اليمن الذين يتبعون ذلك المذهب، وسارع بمخاطبة نجاشي الحبشة المونوفيزيتي المذهب، وتعاون معه لنجدة مسيحي نجران الذين اضطهدهم الملك اليهودي ذو نواس، وكانت المسيحية قد انتشرت سريعا بين العرب وبعض اليهود في بلاد اليمن، وأدى الأمر لحدوث مصادمات بين المسيحيين واليهود الذين كرهوا انتشار المسيحية، فما كان من الملك اليهودي ذي نواس إلا أن قام بقتل عدد كبير من المسيحيين، وقبض على عدد أخر، وخيرهم بين القتل أوترك المسيحية، ففضلوا القتل على التخلي عن دينهم، فانتقم منهم انتقاما مروعا، فيما عرف في التاريخ بمذبحة نجران، أو حادث الأخدود، حيث أمر بحفر الخنادق وأشعل فيها النيران (كانت هذه العقوبة معروفة في العصر الروماني، وكانت دقلديانوس قد قام بنفس التصرف مع المسيحيين من قبل)، وجلس ذو نواس على طرف الأخدود يخير المؤمنين بالمسيحية بين الإرتداد عنها أو إلقائهم في أخدود النار، وقتل بذلك عدد كبير من

المسيحيين، وقد تمكن نفر قليل من المسيحيين من الفرار، ولجأ رجل دين منهم إلى الإمبراطور البيزنطي جستين يخبره بما حدث للمسيحيين في نجران، ويطلب منه مد يد العون لهم (وكانوا يتبعون مذهب الطبيعة الواحدة)، فسارع جستين بمخاطبة ملك الحبشة، فخرج ملك الحبشة في جيشه، ودعمه جستين بقوات بيزنطية، وتمكن من هزيمة ذو نواس (يوسف بن شرحبيل).

لم يتلق جستين تعليما كافيا بما يلائم منصب الإمبراطور، ولذلك كان جستنيان عونا له خلال فترة حكمه، فإلى جانب براعة جستنيان الحربية التي رفعته لقائد كبير في الجيش، كان جستنيان واسع العلم، مثقف ومطلع على كثير من العلوم، يقرأ كثيرا في الإقتصاد والقانون، ودرس قوانين ثيودوسيوس، فاعتمد عليه جستين في تسيير أمور الدولة، فأمسك بيده مقاليد الحكم في حياة جستين، فكأن عصر جستين كان تمهيد لحكم جستنيان، وفترة تدريب له على شئون الحكم، فلما توفى جستين، أعتلى جستنيان العرش دون حدوث تغيير في نظم الحكم والإدارة.

جستنيان الأول (527- 565م)

تميز جستنيان عن سابقه بأنه كان مثقف ومطلع على كل أمور الدولة، وعرف عنه النشاط والمثابرة لتحقيق أهدافه، وكانت لجستنيان تطلعات واسعة سعى لتحقيقها بمجرد أن اعتلى عرش الإمبراطورية، ولم يسمح لأي من المحيطين به بتثبيط همته أو صرفه تحقيق طموحاته.

يشير المؤرخون لجستنيان بأنه من أكثر الأباطرة وطنية، ولكن وطنيته تلك اختلطت بطموحاته الواسعة، فكان عهده أخر محاولة لإعادة الوحدة بين شطري الإمبراطورية القديمة، ولم ينتبه جستنيان وهو يسعى لتحقيق طموحاته، بأن رياح التغيير باعدت بين شطري الإمبراطورية، فأصبح انفصال كل منهما عن الآخر أمر واقع لا جدال فيه، فقد كانت الخلافات السياسية والمذهبية عائق في تحقيق أحلام جستنيان، إلا أنه لم يستسلم، وقسم جيشه عدة أقسام، لإنه كان عليه أن يخوض أكثر من حرب في جهات متعددة، كمان أنه صنف جيوشه، إلى قوات هجومية تقوم باسترداد المدن الغربية، وقوات دفاعية مهمتها حفظ الإمبراطورية من الغارات المعادية.

ولأن الغرب كان يمثل الأولوية في خطط جستنيان، كان عليه أن يؤمن الجهة الشرقية، حتى لا يفاجئه الفرس بهجوم على القسطنطينية، مستغلين خروج الجيش للحرب في الغرب، وبالفعل بعد عام واحد من تولي جستنيان العرش، بدأ التقدم الفارسي نحو القسطنطينية، وكان على جستنيان أن يؤمن الجبهة الشرقية قبل أن تتحرك قواته غربا، **فدخل في مفاوضات مع الفرس**، استمرت فترة طويلة، وانتهت بعقد الصلح والدخول في هدنة لعدة سنوات، أتبعها بمعاهدة ثانية كانت مهينة للإمبراطورية البيزنطية، إذ الزمت المعاهدة جستنيان بدفع أتاوة سنوية كبيرة للفرس مقابل مد الهدنة لخمس سنوات جديدة، فدفعها راضيا ومقتنعا أنه بعد عدة سنوات، وقبل أن تنتهي المعاهدة سيكون قد أنتهى من حروبه في الغرب، وأعاد أمجاد الإمبراطورية القديمة، وأنه سيقود جيوشه الموحدة للقضاء على دولة الفرس.

الهيبدروم وثورة نيقا

واختار جستنيان منذ أعتلى عرش الإمبراطورية إلى جانبه عدة أشخاص، كان لكل منهم أثر كبير في تاريخ الإمبراطورية، سواء العسكري أو السياسي أو الإقتصادي، كان على رأسهم زوجته ثيودورا، وقائدان شهيران في التاريخ البيزنطي، هما نارسيس وبلزاريوس، جمعتهم بجستنيان الوطنية والإخلاص للإمبراطورية، وعين جستنيان بلزاريوس قائدا عاما على جيش تراوح عدده بين خمسة عشر وثمانية

عشر ألف مقاتل، وأوكل له مهمة طرد الوندال من شمال أفريقيا، ووضع كل امكانيات الإمبراطورية لتجهيز تلك القوات لكي تكون قادرة على المهام التي تنتظرها، ولكن قبل أن يخرج بلزاريوس بقواته للغرب، تغيرت الأحوال الداخلية في الإمبراطورية، حتى كاد جستنيان أن يفقد عرشه، فاندلعت الأزمة من داخل الهيبدروم، وامتدت بسرعة في كل أنحاء العاصمة.

والهيبدروم هو ميدان سباق العربات التي تجرها الخيول، ولم يكن مجرد ميدان للسباق، ولكنه كان مكان الإجتماعات السياسية، والإنتخابات، والخطب السياسية، وملتقى الشعراء، وخلال الأيام التي تقام فيها المباريات داخل الهيبدروم، كان يحضر المغنون ولاعبي السيرك لعرض مهاراتهم، وتقديم عروضهم الترفيهية بين المباريات، وكان لكل حي من أحياء المدينة فريق ينافس به الأحياء الأخرى، ولكل فريق لون يميزه، وعرفت الفرق باسم اللون الذي يرتديه المتسابقون، وهم الأخضر والأزرق والأحمر والأبيض، ثم ادمج كل فريقان معا، فأصبح بالمدينة فريقان فقط، هما الزرق والخضر، ولم يكن بين الفريقين تنافس رياضي فقط، وإنما شكلوا أحزاب سياسية متنافسة، وانعكست المواقف السياسية والإنتماءات الدينية لرؤساء الأحزاب على العلاقات بين الفرق الرياضية، وأصبحت المصادمات بين أنصار الخضر والزرق من الأمور العادية داخل القسطنطينية.

وكان جستنيان منذ توليه الحكم قد وجه جميع مصادر الدولة الإقتصادية لتحقيق طموحاته الحربية، ولم تكفيه خزانة الإمبراطورية التي تركها انستاسيوس عامرة بالأموال والكنوز، ففرض ضرائب على الشعب لتوفير النفقات الحربية، واستاءت الطبقة الفقيرة من فرض الضرائب، وكانوا يأملون أن يخفف عنهم الضرائب، كما يفعل كثير من الأباطرة عند اعتلاء العرش، ونتيجة لزيادة الأعباء الضريبية، قامت أحداث الشغب في العاصمة، فأمر الإمبراطور بالقبض على مثيري الشغب، وقدم بعضهم للمحاكمة حيث تم الحكم على ثلاث منهم بالإعدام، فجمعت الأحداث بين أنصار الخضر والزرق، وانتهى الأمر باتحاد الفرق الرياضية عام 532م في مواجهة الظلم الواقع من الإمبراطور وجباة الضرائب على الشعب، ونادى الشعب (NIKA) وتعني النصر، وأعلن الثوار اختيار أحد أقارب الإمبراطور الراحل أنستاسيوس إمبراطورا، واشتدت الثورة حتى فكر جستنيان في الهرب من الإمبراطورية، لولا موقف المخلصين الذين التفوا حوله، وكان لزوجته ثيودورا الفضل في تخليه عن فكرة الهرب، وقام كل من نارسيس وبلزاريوس بدور كبير في القضاء على الثورة، فوضعوا خطة تعتمد على القضاء على وحدة الثوار، فيعود الزرق والخضر إلى موقفهم القديم من المنافسة والعداء، وتمكن نارسيس من الإتصال بالزرق والتفاوض معهم لإنهاء حالة الغضب، وتحقيق مطالب الثوار، في حين ظل الثوار في الهيبدروم في انتظار نتيجة المفاوضات، وبينما يتفاوض نارسيس مع الزرق، هاجم بلزاريوس بقواته ميدان السباق، وقضي على عدد كبير من المتظاهرين المجتمعين به، فراح ضحية الثورة آلاف من المواطنين، وتم القبض على جميع أقارب الإمبراطور أنستاسيوس واعدامهم في الميدان، فخمدت الثورة واستقرت الأمور الداخلية لجستنيان.

(تم عرض ملامح الثورة بايجاز، أما التفاصيل، فهي مهمة الطلاب وتضاف لملف الإختبار الشفوي)

وبعد استقرار الأمور الداخلية للإمبراطورية، توجه بلزاريوس بقواته غربا، فبدأ بشمال أفريقيا حيث استقر **الوندال**، واستطاع عام 533م من احراز انتصارات كبيرة عليهم، واستعاد شمال أفريقيا بعد حروب معهم استمرت حوالي عام، وتمكن بلزاريوس بالفعل من تدمير قوة الوندال، وما بقي منهم فروا للمناطق الداخلية، حيث ظلوا لسنوات يتبعون حرب العصابات على الحاميات الإمبراطورية بين الحين

والآخر، دون أن يحققوا أي انتصار، وعاد بلزاريوس إلى القسطنطينية في العام التالي 534م، يحمل للإمبراطور بشرى القضاء على خطر الوندال.

حصل جيش بلزاريوس على قسط طيب من الراحة قبل أن يتحرك للمرحلة الثانية من حروب جستنيان في الغرب، وفي هذه المرة خرج بلزاريوس بجنوده عام 535م قاصدا **القوط الشرقيين في ايطاليا**، ولم يكن انتصاره على القوط بالأمر الهين، ففي البداية تمكن من استعادة صقلية وكل الساحل الشرقي، فتحمس واتجه فورا إلى الجنوب، غير أن كثير من المدن الإيطالية كانت حصينة، فوجد منها مقاومة شديدة، إلا أن جيش بلزاريوس كان من القوة بحيث أجبر مدينة نابولي وما حولها على الإستسلام، فوضع حاميات بيزنطية على تلك المدن، وتوجه نحو روما.

في روما كان القوط قد أعدوا خطة للتخلص من قوات الإمبراطور، فبمجرد ضرب الحصار على روما استسلمت الحامية القوطية، ودخل بلزاريوس وجنوده روما، وأملى شروطه على الحامية، وتلا عليهم مطالب الإمبراطور جستنيان، ولكنه فوجيء بأن قوات القوط تحاصره داخل المدينة، وأن القوط قد أحكموا الحصار، بينما نقلوا عاصمتهم إلى مدينة رافنا، حتى ينتهي خطر هجوم قوات الإمبراطور جستنيان، وكان على بلزاريوس أن يقاوم ليخرج من المدينة بقواته سالمين، وبالفعل اشتبك مع قوات القوط، الذين اضطروه للتقهقر، ولكن بلزاريوس لم يستسلم للموقف، فترك روما متوجها نحو رافنا التي اتخذها القوط عاصمة، وحصنوها، ووضعوا عليها حامية قوية تستطيع أن تصمد في مواجهة الحصار، وأقام بلزاريوس معسكره أمام أسوار المدينة، وحاصر بجنوده رافنا لعدة سنوات، كانت أطول حروب بلزاريوس، تخللها اشتباكات طويلة مع قوات القوط، حتى انتهى الأمر باستسلام ملك القوط، ودخل بلزاريوس المدينة منتصرا، ولكنه أنتقم من الأهالي شر انتقام، وعاد إلى القسطنطينية عام 540م في موكب كبير، يسير هو في المقدمة، وفي نهاية الموكب ملك القوط مكبلا بالأغلال.

حصان بلزاريوس ذو الرأس الأبيض

يروي بركوبيوس مؤرخ ذلك العصر، أن بلزاريوس كان يمتلك حصانا رماديا يميل للسواد، ويتميز بأن رأسه ورقبته بيضاء لا سواد فيها، وكان بلزاريوس يعتز بحصانه المميز ويستبشر به، ويحكي بركوبيوس أنه أثناء حروب بلزاريوس مع القوط، أصطحب حصانه المميز، وكان على القوط لكي يتخلصوا من وطأة الحصار أن يتخلصوا من بلزاريوس نفسه، وكان الحصان ذو الرأس الأبيض هو الوسيلة لتحقيق ذلك، فعرف قادة جيش القوط أن بلزاريوس لا يفارق حصانه، فأمروا جنودهم باستهداف الحصان ذو الرأس الأبيض، وبالفعل بمجرد ظهور الحصان في احدى المعارك، نادى المنادي من جيش القوط (اقتلوا الحصان ذو الرأس الأبيض)، فتنبه بلزاريوس لخطورة تمسكه طوال الوقت بحصانه المفضل، وتمكن أن يفلت بصعوبة من سهام القوط الموجهة نحوه، ومنذ ذلك اليوم، لم يعد بلزاريوس يخرج في المعارك بالحصان ذو الرأس الأبيض.

غير أن القوط لم يستسلوا للهزيمة، فبعد رحيل بلزاريوس، قاموا بتجميع قواتهم من جديد، وتصالحت القبائل القوطية التي كانت قد دخلت في صراع وخصومات، وأختاروا من بينهم أحد القادة ليكون ملكا عليهم ويدعى توتيلا عام 541م، الذي تمكن من تكوين جيشا جديدا، وساعده على ذلك، أن القوط جميعا مقاتلين، فثاروا على الحامية البيزنطية في إيطاليا، وبدأوا في استرداد المدن التي سقطت في يد بلزاريوس، فاستردوها جميعا ماعدا رافنا.

عاد بلزاريوس سريعا إلى إيطاليا، ولكنه في هذه المرة تعرض لسلسلة متتالية من الهزائم، ولم تتمكن قواته من الصمود أمام تحالف قوات القوط تحت زعامة توتيلا، فاضطر جستنيان أمام تلك الهزائم المتلاحقة أن يعفى بلزاريوس من قيادة الجيوش، وقام بتعيين نارسيس بدلا منه، واستمر نارسيس في حروبه ضد القوط لسنوات، حتى تمكن في النهاية من السيطرة من جديد على كامل إيطاليا عام 555م.

ولم يكتف جستنيان بما حققه من انتصارات في شمال أفريقيا وفي إيطاليا، فبمجرد أن قضى على قوة القوط الشرقيين، التفت إلى **القوط الغربيين في أسبانيا**، الذين كانوا قد استوعبوا الدرس من قضاء قوات جستنيان على الوندال، وعلى القوط الشرقيين، فاتحدوا وحصنوا مدنهم، فلم تستطع قوات جستنيان المنهكة أن تحقق عليهم انتصارات كبيرة، بالإضافة إلى أنه كان في حاجة لقواته لحماية الهجمات على الجبهة الشرقية، والتي أخذت تنهال على الإمبراطورية من جانب كل من **الفرس والبلغار والصقالبة، بالإضافة للجرمان والهون**، وكان الفرس قد انتهزوا فرصة انشغال جستنيان بحروبه في الغرب، وانتهاء الهدنة، وتقدموا نحو القسطنطينية، ولم يكن أمام جستنيان إلا طلب تجديد الهدنة، ثم عاود الفرس الكرة عام 562م، وكانت قوات جستنيان موزعة في الغرب لحماية المناطق التي تمكن من السيطرة عليها، فاضطر للدخول مع الفرس في هدنة طويلة الأمد هذه المرة، مقابل مبلغ ضخم يدفع اتاوة سنوية، وترك أرمينيا وبعض المدن الأخرى للفرس، فكانت انتصارات جستنيان في الجانب الغربي، وبالا على الإمبراطورية من الجهة الشرقية.

عند دراسة السياسة الخارجية، من الوهلة الأولى يبدو عصر جستنيان وكأنه سلسلة من الحروب المتواصلة، ولكن إذا تطرقنا للسياسة الداخلية، نجد أن عصر جستنيان كان عصر انتشار الثقافة والعلوم والفنون، وتطور الآداب والعلم، وهو عصر الإنجازات المعمارية والتقدم الإقتصادي، والنهضة القانونية والتشريعية، في الواقع كان عصر جستنيان عامر بالمتناقضات، جيوش الإمبراطورية تحقق انتصارات كبيرة في الغرب، بينما في الشرق نفس الإمبراطورية تقابل تهديد من كل مكان، وتضطر لدفع الاتاوات لشراء السلام، الإمبراطور يقوم باصلاحات اقتصادية واصلاح النقابات المهنية، فيدخل للإمبراطورية أموال كثيرة من التجارة والصناعة والرسوم الجمركية، بينما خزانة الإمبراطورية خاوية بسبب استهلاك الجيش لجميع موارد الدولة، فيترك خزانة الإمبراطورية من بعده خالية من الأموال، ليتحمل من جاءوا بعده دفع ثمن طموحاته غير المحدودة، وهو نفسه الإمبراطور الذي يسن قوانين جديدة لحماية الأهالي من جامعي الضرائب، ويضع تشريعات لتنظيم حياة الفلاحين والملاحين وغيرهم، بينما تثقل الضرائب كاهل الأهالي، ويفتح القانون الثغرات لجامعي الضرائب لإستنزاف قوى المواطنين، متدين زاهد، أغلق جامعة أثينا الوثنية ليعلو شأن جامعة القسطنطينية المسيحية، ويغلق أبواب الوثنية، ولكنه لم يتورع عن قتل المناهضين لحكمه، ويعادي من يخالف مذهبه.

ولكن إذا نظرنا لعصر جستنيان بشكل عام، نجد أنه حاول أن يكون جدير بالمنصب الإمبراطوري، وقضى عمره في خدمة الإمبراطورية البيزنطية، ونكتشف من خلال دراسة عصر جستنيان أنه كان الزاهد الذي لا ينام، على حسب وصف المؤرخين، الإمبراطور الذي يعمل طوال الوقت من أجل وطنه، فلم يكن بالأمر العجيب أن تحمل الأسرة إسمه هو وليس إسم مؤسسها جستين.

<u>جستين الثاني:</u>

تبنى جستنيان إبن شقيقه الذي يدعى جستين، وعينه قيصر وأعده ليحكم الإمبراطورية من بعده، كما أنه زوجه من صوفيا إبنة شقيقة الإمبراطورة ثيودورا، وتولى جستين الحكم عقب وفاة جستنيان تحت أسم

جستين الثاني، وبدأ حكمه باتباع سياسة التسامح الديني مع أصحاب المذاهب الدينية المختلفة، وكان جستنيان قد ترك خزانة الإمبراطورية خالية، ولم تعد تقو على دفع مبالغ كبيرة للفرس مقابل السلام، فمنع جستين الثاني الفدية عن الفرس، كما أنه أرسل قواته نحو أرمينيا ليدعم موقف الإمبراطورية هناك، فما كان من الفرس إلا أن تقدموا بقواتهم للحدود الشرقية للإمبراطورية واستولوا على أهم المدن والمعاقل البيزنطية، إلى جانب ذلك تقدمت القبائل الشمالية تغير على الأراضي البيزنطية، وبدأت الحركات الإنفصالية في المناطق التي قضى جستنيان فترة حكمه في اخضاعها في الغرب، فأصبحت الإمبراطورية كالفريسة التي يحيطها الوحوش من كل جانب، ولم يتمكن الإمبراطور من مواجهة تلك الأخطار، فأصيب بأمراض بدنية وذهنية، جعلته غير قادر على اتخاذ قرار سليم، فتولت الإمبراطورة صوفيا تصريف أمور الدولة، وسارعت بمراسلة الفرس وعرض السلام، واضطرت في نهاية الأمر، لكي تنقذ الإمبراطورية من تقدم الفرس في أراضيها، لدفع خمس وأربعين ألف دينار ذهبي للفرس مقابل الموافقة على عقد معاهدة سلام، وعرضت على جستين أن يتبنى واحد من كبار القادة، ليعينه على إدارة أمور الإمبراطورية ويخلفه في الحكم، فوقع اختياره على تيبريوس، فعينه قيصر.

تيبريوس الأول:

خلف تيبريوس جستين الثاني، واتبع نفس سياسته في اطلاق حرية اعتناق المذاهب المسيحية المختلفة، ورأى أن ينظم الأمور الداخلية أولا، حتى يتمكن من مواجهة الأخطار التي تحيط بالإمبراطورية، فوجد أن يبادر بكسب تعاطف المواطنين وتأييدهم ليضمن عدم القيام بتمردات داخلية، فأسقط جميع الضرائب لمدة عام كامل، على أن يعاد جمعها في العام التالي، وأمر بفتح جميع المسارح وتقديم عروض مجانية للمواطنين، ورفع رواتب الجند، كما أنه أمر باعادة توزيع الخبز المجاني في القسطنطينية، وعندما اطمئن للجبهة الداخلية، قرر أن يوجه جهوده لحماية الإمبراطورية من الفرس، أما الجهات الغربية، فلم يكن تيبريوس مقتنع بما قام به جستنيان من أعمال وما خاضه من حروب لأجل استعادة وحدة الإمبراطورية القديمة، ووجد أن ترك الجزء الغربي للإغارات التي تتزايد عليه، يعتبر حفاظ على الإمبراطورية الشرقية، وأن الأولى توجيه الجهود لحماية الإمبراطورية من الفرس والقبائل الشرقية، ولذلك ترك الجانب الغربي يواجه مصيره، ودخل في مناوشات مع الفرس، وليس حرب حاسمة، وكان يفضل عقد معاهدة جديدة معهم، حتى يتفرغ لحماية الإمبراطورية من غارات البلغار والصقالبة، ولكنه أمام ضغط الإغارات من الشرق والشمال، اضطر لقبول الصلح مع الفرس بشروط مهينة للإمبراطورية، واضطر لدفع إتاوة كبيرة، حتى يوجه جيشه لحرب الصقالبة الذين توغلوا في أراضي الإمبراطورية.

موريس (582- 602م):

اختار تيبريوس زوج ابنته ليكون خلفا له في حكم الإمبراطورية، وكانت عناصر جديدة قد بدأت تهدد الإمبراطورية ممثلة في قبائل الآفار والسلاف، بالإضافة للصقالبة والبلغار، فكانت سياسة موريس تقوم على تأمين جبهة الفرس مهما كلفه الأمر من نفقات، وشعر الفرس بأنه يريد شراء السلام معهم بأي ثمن، فطلبوا أتاوة باهظة، ودفعها مويس صاغرا، وبدأ يتجه لتقوية الجيش، وتوزيع القوات على أماكن الحدود حتى يوقف توغل العناصر المغيرة في أراضي الإمبراطورية، ولما لم يجد قوات الجيش كافية لذلك، زلا الإمكانيات المادية للإمبراطورية تساعده، قرر أن يعتمد في الدفاع عن تلك المناطق التي تتعرض للإغارات على الأهالي، فطلب من كل شخص يستطيع حمل السلاح أن يبادر بالدفاع عن وطنه، وتكون في الإمبراطورية قوات جديدة تلتزم بالدفاع عن نفسها وعن الإمبراطورية، عرفت فيما بعد بقوات

الثيمات أو الثغور، وأقبل العرب المحيطين بالإمبراطورية على الإنضمام لهذه القوات، وتمكن من خلال هذا النظام أن يحتفظ بأجزاء من إيطاليا وشمال أفريقيا.

ووجد موريس أن الخزانة الإمبراطورية لم تعد تتحمل السياسة التي اتخذها سلفه تيبريوس لضمان ولاء الجنود بزيادة الرواتب والعطايا، وكانت الإمبراطورية تمر بأزمة اقتصادية شديدة، وعليه أن يوفر الأتاوة التي يدفعها للفرس، فاتخذ قرار تخفيض رواتب الجند، وضغط المصروفات، فقوبل تصرفه بحالة من التمرد من قبل الجند، فانتهز أحد القادة هذه الفرصة وجمع الجنود وهاجموا الإمبراطور وقتلوه وأفراد اسرته، وانتقل الحكم إلى فوكاس.

فوكاس (602- 610م):

أحدث وثوب فوكاس للعرس حالة من الاضطراب داخل الإمبراطورية، بين مؤيد للإمبراطور الجديد، وساخط على اغتصابه للعرش، على حين أنه بمجرد توليه العرش حاول يمد أواصر الود مع البابا في روما، فرحب به البابا جريجوري الأول، بينما أعلن كسرى الثاني ملك الفرس غضبه لمقتل حليفه الإمبراطور موريس.

لم يتسع الوقت لفوكاس ليثبت جدارته بعرش الإمبراطورية الذي قام باغتصابه، فوجده العامة منذ الأيام الأولى لحكمه، جاهل بشئون الدولة، يسيء التصرف ولا يرقى لمنصب الإمبراطور، فعاد الإتصال بين فريقي الخضر والزرق من جديد، وقامت ثورة كبيرة ضده، ثورة مثقفين لم يقتنعوا به إمبراطور، وثورة فقراء ثاروا على الأحوال الإجتماعية، وزاد الأمر سوءا بخروج جيوش الفرس تجتاح أراضي الإمبراطورية، وفي ظل المصادمات التي حدثت في شوارع القسطنطينية وأمتدت إلى الأقاليم وانتشار الجثث، عادت موجة جديدة من الطاعون قضت على عدد كبير من سكان القسطنطينة، وفي ظل تلك الظروف، تقدم اسطول من قرطاج بقيادة هرقل، الذي اتصل بكبار الموظفين في القصر الإمبراطوري، ودخل القسطنطينية، وبمساعدة رجال القصر قبض على الإمبراطور وأعدمه، وقام بطريرك القسطنطينية بتتويج هرقل معلنا قيام أسرة جديدة هي أسرة هرقل.